محمد مزوز

جدل الطبيعيات والإلهيات
بين ابن رشد وابن سينا

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث

جدل الطبيعيات والإلهيات بين ابن رشد وابن سينا
Jadal al-Ṭabīʿīyat wa al-Ilāhīyat bayna Ibn Rushd wa Ibn Sīnā

تأليف: محمد مزوز
عدد الصفحات: 278
قياس الصفحة: 14X21 سم
تاريخ الطبعة: 2017م
رقم الطبعة: الأولى
التصنيف الموضوعي: 189
الترقيم الدولي: 978-614-8030-47-5

الناشر
مؤمنون بلا حدود
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

المملكة المغربية - الرباط - أكدال
تقاطع زنقة بهت وشارع فال ولد عمير
عمارة ب، طابق 4، جانب مسجد بدر
ص.ب 10569
هاتف: 212 537779954+
فاكس: 212 537778827+
Email: info@mominoun.com

لبنان - بيروت
الحمراء - شارع المقدسي - بناء بلبيسي
ص.ب 6306-113
هاتف: 961 1747422+
فاكس: 961 1747433+
Email: publishing@mominoun.com

Author: Mohammad Mazūz
Pages: 278
Size: 14 X 21 cm
Edition Date: 2017
Edition No.: 1st
Subject Classification: 189
ISBN: 978-614-8030-47-5

Publisher
Mominoun Without Borders
for Publishing & Distribution

All rights resereved
Mominoun Without Borders Institution

Morocco, Rabat, Agdal
11 RUE GABES (CENTRE-VILLE)
P.O.Box 10569
Tel: +212 537779954
Fax: +212 537778827
Email: info@mominoun.com

Lebanon - Beirut
al-Hamra - Maqdisi St. - Balbisi Build.
P.O.Box 113-6306
Tel: +961 1747422
Fax: +961 1747433
Email: publishing@mominoun.com

www.mominoun.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب لاتعبر بالضرورة عن اتجاهات تتبناها
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث

الموزع المعتمد في المغرب العربي
المركز الثقافي للكتاب للنشر والتوزيع
المغرب - الدار البيضاء - 6 زنقة التيكر
هاتف: 212 522810406+
فاكس: 212 522810407+
Email: markazkitab@gmail.com

المحتوى

مقدمة 9

القسم الأول: مفهوم العلم 17

الفصل الأول: مفهوم الواحد 19

1- في الثقافة العربية - الإسلامية 19

2- في الثقافة اليونانية 35

الفصل الثاني: نظرية العلم 45

1- القول الخطابي 49

2- القول السوفسطائي 55

3- القول الجدلي 57

4- القول البرهاني 61

الفصل الثالث: ممارسة العلم 69

القسم الثاني: موضوع العلم 91

الفصل الأول: تصنيف العلوم 93

1- العلم الطبيعي 105

2- علوم التعاليم (الرياضيات) 123
3- علم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا) 132
الفصل الثاني: براهين العلوم 153
1- تصنيف ابن سينا 163
2- تصنيف ابن رشد 163
القسم الثالث: العلاقة بين الطبيعيات والإلهيات 173
الفصل الأول: العلاقة الوجودية 175
1- إشكال الجوهر 182
2- إشكال الواحد 186
الفصل الثاني: العلاقة المنطقية 205
1- مشكلة الأسباب من الزاوية الإبستمولوجية . 205
2- مشكلة الأسباب من الزاوية الأنطولوجية ... 229
خاتمة 251
قائمة المصادر والمراجع 261
الفهرس 267

مقـدمـة

لم تكن دلالة العلم والميتافيزيقا عند القدماء تحمل المعنى نفسه الذي نفهمه اليوم، أي علاقة التناقض بين العلم من جهة والميتافيزيقا من جهة أخرى، بل كانوا ينظرون إلى الميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة) باعتبارها علماً، وهي أشرف العلوم؛ لأنها تنظر في أشرف الموضوعات (الموجود بما هو موجود). لكن هذا الإجماع الأولي الحاصل بين الفلاسفة -بعد أرسطو- حول تصنيف العلوم النظرية إلى فيزياء، ورياضيات، وميتافيزيقا، لم يمنع الاختلاف، أو خرق الإجماع بخصوص درجة العلمية في هذا العلم أو ذاك. فعلى الرغم من التباين الواضح بين العلوم؛ فإن الرؤى الفلسفية غالباً ما كانت تحدد الموضوع داخل الحقل العلمي، وبذلك يتم تجاوز مقتضيات المعرفة العلمية الدقيقة بالمعنى الذي نفهمه نحن، ويصبح موضوع العلم هو موضوع الفلسفة نفسه. ومن ثم كان الباحث في موضوع العلم هو عالم فيلسوف، أو فيلسوف عالم؛ لذا كان لابد أن يفضي هذا الوضع النظري إلى تضارب الآراء، وظهور المذاهب.

لم يحصل اتفاق مطلق بين العلماء/الفلاسفة حول موضوع العلم الطبيعي (الفيزياء)، أو موضوع علم ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، على الرغم من شبه اتفاقهم حول موضوع علوم التعاليم (الرياضيات)؛ لأن العلم الرياضي ليس من العلوم التي يُختلف فيها، كما يقول ابن سينا. وكان طبيعياً أن يؤدي الاختلاف حول الموضوع إلى الاختلاف حول المنهج أيضاً؛ لأن تحديد طبيعة الموضوع هو الذي يتحكم في نوعية المنهج، وبذلك ينتقل الاختلاف من الموضوعات إلى البراهين، أي من مجال النظر إلى وسيلته. وبما أن البراهين تتفاوت من حيث الدقة والصرامة، فإن النتائج ستخضع للتفاوت نفسه. بمعنى أن العلوم ليست من الدرجة نفسها بخصوص علميتها، ولا تبلغ نتائجها إلى الدقة نفسها في استخلاص قوانين الموضوعات المفحوصة؛ لذا سنجد أنفسنا أمام التساؤل حول علاقة هذه العلوم ببعضها بعض، أي علاقة التفاوت بين الموضوعات والبراهين. وتحديد تلك العلاقة سيؤدي إلى التصنيف لا محالة، وتصنيف العلوم بهذا المعنى لا يعني ترتيبها فقط؛ بل يدل التصنيف على موقف بكامله، أي على رؤية فلسفية.

يمكن الوقوف عند هذه الرؤية الفلسفية في مجال الثقافة الإسلامية عند علمين كبيرين من أعلامها، ألا وهما: أبو الوليد بن رشد، وأبو علي بن سينا. والعلاقة التي تجمع الرجلين هي علاقة اختلاف، ترتفع حدتها أحياناً لتتخذ صبغة سجالية. والوقوف عند هذين الفيلسوفين يمكن اعتباره وقوفاً يختزل كل

الفلسفة الإسلامية؛ لأن ابن سينا يمثل قمة تطور الفلسفة الإسلامية في المشرق، بينما يمثل ابن رشد قمة تطورها في المغرب والأندلس. ومما يعزز هذا الوقوف عند ابن رشد وابن سينا دون غيرهما، هو الحوار الذي دشنه الأول مع الثاني، على الرغم من البون في الزمان والمكان. وهو حوار سيسعفنا كثيراً في فهم فلسفة الرجلين، وسيقود خطانا كما يقود النظر خطى الناظر. وهذا الإسعاف يرشد الباحث إلى الهدي المعرفي، ولكن شريطة كبح الرغبة في السجال، أي اتخاذ مسافة بين الذات والنص.

ليست علاقة العلم بالميتافيزيقا بين ابن رشد وابن سينا علاقة تضاد، أعني ليست تضاداً بين العلم من جهة والميتافيزيقا من جهة أخرى، بل هي علاقة تضاد بين موضوع العلم وموضوع الميتافيزيقا عند ابن سينا من جهة، وبين موضوع العلم وموضوع الميتافيزيقا عند ابن رشد من جهة أخرى. ولو فهم القدماء من العلم والميتافيزيقا ما نفهمه اليوم -أي علاقة التضاد- لأدى ذلك إلى الاتفاق بين الرجلين، أعني الاتفاق حول علاقة العلم بالميتافيزيقا.

كان الاعتقاد القديم يذهب في اتجاه تأسيس علاقة «التعاون» بين العلوم الدنيا والعلوم العليا، وهي علاقة أصبحت بمرتبة بديهية، تداولتها شروحات المفسرين خلال تاريخ الأرسطية الطويل. وعلاقة التعاون تنبني بدورها على قاعدة عامة تقول: إن العلم الأعلى هو الذي يبرهن مبادئ موضوع العلم الأدنى، والعلم الأدنى إنما يتسلم تلك المبادىء دون برهان، ويضعها وضعاً. إن

هذا الاتفاق العام حول العلاقة التي تؤسس تعاون العلوم هي التي سيحاول ابن رشد زحزحتها، أي القبول بفكرة التعاون، ورفض فكرة البرهان على مبادئ، موضوعات العلوم الدنيا (الجزئية) من قبل العلوم العليا (الكلية)؛ لأن الشروحات والتفاسير عندما أعطت الامتياز للعلم الأعلى على العلم الأدنى، كانت تعطي بذلك الأولوية للميتافيزيقا على العلم الطبيعي والرياضي.

كيف يمكن إعادة الاعتبار للعلم، ورفع هيمنة الميتافيزيقا؟ هذا ما لم يفكر فيه أحد من المشائين قبل ابن رشد، لم يكن أحد يجرؤ على اختراق القاعدة الصلبة التي تعطي الامتياز للعلم الأعلى على العلم الأدنى والرجل الوحيد الذي وقف بحزم أمام هذه القاعدة، وصلابتها المترسخة، هو أبو الوليد بن رشد. وقف ابن رشد عند القاعدة السالفة؛ لأنها السبيل الوحيد لقلب العلاقة السائدة بين العلم والميتافيزيقا. ولا نقصد بقلب العلاقة هاهنا الانتقال من القول بتعاون العلوم إلى القول بتضادها، بل نقصد بذلك قلب علاقة التعاون ذاتها. العلوم تتعاون فيما بينها تماماً كما قال جمهور المشائين نقلاً عن أرسطو، ولكن ليس بمعنى إعطاء الميتافيزيقا للعلوم الدنيا مبادىء موضوعاتها، كما كان يعتقد الجميع بما في ذلك أرسطو نفسه، وإنما بمعنى إعطاء العلوم الدنيا (الفيزياء والرياضيات) للعلم الأعلى (الميتافيزيقا) موضوعها الذي تنظر فيه، أو جزءاً من ذلك الموضوع.

إذاً هاهنا إشكال عويص يلزم الوقوف عنده، بعد أن كان مجرد الانتباه إليه أمراً أشد عوصاً. فهل يعني طرح هذا الإشكال

فتح الطريق أمام الفصل الحاد بين العلم والميتافيزيقا كما نعرفه اليوم؟ أم يعني شيئاً آخر تماماً، ألا وهو محاولة تحديد موضوع الميتافيزيقا تحديداً علمياً؟ سيتحدد الجواب عن مثل هذه الأسئلة داخل الإشكالات التي طرحتها الثقافة العربية - الإسلامية والثقافة اليونانية، باعتبارهما ثقافتين تداخلت اهتماماتهما منذ عصر الترجمة. والثقافة عموماً تتميز بطابع حضاري، يقوم على ثابت معين، يجعلها تكتسب خصوصية، تفرض نفسها على مجالات الإنتاج النظري كلها.

إذا عدنا إلى الثقافة اليونانية ابتداء من اللحظة التي انفصل فيها العقل عن الأسطورة (حوالي القرن الثامن والسابع قبل الميلاد)، نصادف لأول مرة بروز مفهوم قوي سيؤسس تلك الثقافة، ألا وهو مفهوم الواحد مقترناً بالوجود الطبيعي. لقد اعتمد الطبيعيون الأوائل (القرن السادس قبل الميلاد) على هذا المفهوم لتفسير طبيعة الكون (الكل هو الواحد)، وهكذا ظهرت الفلسفة في بداياتها فيزياء، كان هدفها هو العودة بالتعدد إلى الوحدة. بينما نشأت الثقافة الإسلامية بناء على مفهوم الواحد مقترناً بالنص الديني، أي أن الهدف لم يكن توحيد الوجود (إعادة الظواهر إلى جذر واحد)، بل كان الهدف توحيد الإله. وقد تشكلت العلوم الإسلامية (علوم التفسير والحديث، علم أصول الفقه، علم أصول الدين، علوم التصوف) حول النص الديني؛ إما لتفسيره، وإما لتأويله، قصد استخلاص معناه، وإنشاء مذاهب تقول الحقيقة، أو تدعي امتلاكها. لكن نشأة العلوم الإسلامية حول

إنّ مقياس المعرفة ليس الانتصار للأشخاص والمذاهب؛ بل هو الموقف من العالم والرؤية التي ينبغي أن تسود. هذا المقياس هو الذي جعل ابن رشد يتكلّم بلسان أرسطو في كثير من الأحيان، أو يصطدم معه في بعض الأحيان.

لقد خرج ابن رشد عن الأرسطية، في كثير من المواضع، بلسان التأويل، ولكن هذا لم يمنعه من تفصيل المجمل، والوقوف عند الواضح، وقول ما لم يقصده الحكيم.

لقد كان لدى ابن رشد وعيٌ بضرورة تأسيس نظريّ جديد للمعرفة العلمية، من أجل وضع خطّ فاصل بين ما هو علمي وما هو غيبي.

أمّا رؤية ابن سينا للعالم فقد جعلته يخلط في مشروعه بين مذاهب شتى قد لا يجمعها ظاهرياً أيّ شيء، لكنّ المقاصد الأخيرة والمضامين، التي تحملها تلك المذاهب، تلتقي في نقطة اشتراك هي تكريس التفسير الميتافيزيقي للعالم.

إنّ الوعي الصوفي لدى ابن سينا ارتكز على المعرفة الإلهامية، والفيضية، والتأثير الروحي في الكون والإنسان.

إذاً، نحن أمام مصير مزدوج للثقافة الإسلامية مثّله علمان من أعلام هذه الثقافة، وهذا المصير المزدوج يسير على خطّين متوازيين لا يلتقيان أبداً: الطريق الإلهي، والطريق الطبيعي.

محمد مزوز: باحث مغربي متخصص في الفلسفة

ISBN 978-614-8030-47-5

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للنشر والتوزيع